بسم الله الرحمن الرحيم

فضل مدينة

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

واستحباب العيش فيها

ترتيب : علي بن محمد عبده المطري

عفا الله عنه وغفر له ورحمه

واسكنه فسيح جناته

١٥/محرم/١٤٤٣هـ

فضل مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واستحباب العيش فيها

الحَمدُ للهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَأشهَدُ أن لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ،

اما بَعدُ:

- فإن مدينة الرسول صلى اللهُ عليه وسلم طيبة الطيبة، مَأرز الإيمان، ومُلتَقى المهاجرين والأنصار، ومُتَنَزَّل جبريل الأمين على النبي صلى اللهُ عليه وسلم.

- هذه المدينة المباركة قد شرَّفها الله وفضَّلها وجعلها خير البقاع بعد مكة، وقد وردت النصوص الكثيرة في فضلها، وحرمتها، ومكانتها، إخبارًا ودعاءً، وترغيبًا وترهيبًا[١].

- فمنها: أن الله جعلها حرمًا، فقد روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "اللَّهُمَّ إنَّ إبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا، مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا[٢]، أنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إلَّا لِعَلْفٍ"[٣].

- وحرم المدينة هو ما بين الحرتين شرقًا وغربًا وما بين عير إلى ثور يمنًا وشامًا، روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ عَلِيِّ بن أبي طَالِبٍ رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إلَى ثَوْرٍ"[٤].

- وروى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ[٥]"[٦].

- ومنها: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم سَمَّاهَا طَيْبَةَ وَطَابَةَ، روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ فَاطِمَةَ بنتِ قيسٍ رضي اللهُ عنها فِي حَدِيثِ الجَسَّاسَةِ قولُهُ صلى اللهُ عليه وسلم: "هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ يَعْنِي الْمَدِينَةَ"[٧].

- وفي رواية البخاري: "هَذِهِ طَابَةُ"[٨]، قال ابن حجر رحمه الله: "والطاب والطيب لغتان بمعنى، واشتقاقها من الشيء الطيب وقيل: لطهارة تربتها، وقيل: لطيبها لساكنها، وقيل من طيب العيش بها، قال بعض أهل العلم: وفي طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية، لأن من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها"[٩].
- وقد حدثني من سكن المدينة سنوات أنه لم يجد الروائح الكريهة التي توجد عادة في غيرها، كما حدثني أيضًا أنه لا يوجد بها الإزعاج والصخب الذي يوجد في المدن التي يكثر بها السكان، وأنه جرى بحث هذه المسألة مع بعض أهل المدينة، فكان مما قيل في تعليل ذلك اجتهادًا: إنه ربما كان

من خصوصيتها وعظيم بركة أرضها امتصاص الأصوات المزعجة ليعم السكون والهدوء والطمأنينة، وممَّا حدثني أيضًا أن أرضها وجبالها يبدو للناظر إليها حسنًا، وجمالًا، وبهاءً لا يُرَى في غيرها.

- ومنها: أن الإيمان يَأرزُ إليها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "إنَّ الْإِيمَانَ لَيَأرِزُ[١٠] إلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأرِزُ الْحَيَّةُ إلَى جُحْرِهَا"[١١].

- ومنها: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم حثَّ على الصبر على لأوائها وشدتها، ووعد على ذلك أعظم الثواب.

- روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ أبي سَعِيدٍ مَوْلَى الْمَهْرِيِّ: أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ لَيَالِيَ الْحَرَّةِ فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنْ لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلَأْوَائِهَا، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لَا آمُرُكَ بِذَلِكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ: "لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا"[١٢].

- وروى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إلَى الرَّخَاءِ! هَلُمَّ إلَى الرَّخَاءِ! وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"[١٣].

قال ابن حجر:

- **"والحال أن الإقامة في المدينة خير لهم لأنها حرم الرسول صلى اللهُ عليه وسلم وجواره، ومهبط الوحي، ومنزل البركات، لو كانوا يعلمون ما في الإقامة بها من الفوائد الدينية بالعوائد الأخروية التي يُسْتَحْقَرُ دونها ما يجدونه من الحظوظ الغائبة العاجلة بسبب الإقامة في غيرها"[١٤].**
- **ومنها: ما جاء عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم أنه وصفها بأنها قرْيَةٌ تَأْكُلُ الْقُرَى، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "أمِرْتُ بقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ"[١٥]. والمراد بـ"تَأْكُلُ الْقُرَى" أي: ينصر الله الإسلام بأهل المدينة ويفتح على أيديهم القرى، فتجلب الغنائم إلى المدينة ويأكل أهلها، وأضاف الأكل إلى القرية والمراد: أهلها[١٦].**
- **ومنها: ما جاء عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم من الدعاء لها بالبركة، روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنَ الْمَدِينَةِ شِعْبٌ وَلَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا حَتَّى تَقْدَمُوا إِلَيْهَا"[١٧].**
- **ومن المشهور لدى الكثيرين الذين انتقلوا إلى مكة أو المدينة من مدن أخرى: أن ما يصرفونه لا يكاد يبلغ النصف مما كانوا يصرفونه في المدن التي انتقلوا منها، فهذا أمر معلوم.**

- ***ومن فضائلها*: أنه لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ"[١٨].**
- **ومنها: أن في المدينة مسجد الرسول صلى اللهُ عليه وسلم وهو من المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى اللهُ عليه وسلم، وَالمَسْجِدِ الْأَقْصَى"[١٩]. والصلاة فيه مضاعفة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ"[٢٠].**
- **ومنها: أن في المدينة مسجد قباء والصلاة فيه تعدل عمرة، روى الإمام أحمد في مسنده مِن حَدِيثِ سَهْلِ بن حُنَيْفٍ رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ يَعْنِي مَسْجِدَ قُبَاءَ فَيُصَلِّيَ فِيهِ، كَانَ كَعَدْلِ عُمْرَةٍ"[٢١].**
- **ومنها: فضل الروضة الشريفة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ رضي اللهُ عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: "مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي"[٢٢].**

قال ابن حجر:

- "وفي الحديث إشارة إلى الترغيب في سكنى المدينة. وقوله: "رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ"، أي: في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من العبادة فيها المؤدية إلى الجنة، أو أن المراد روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة"[٢٣].

- ومنها: أن فيها جبل أحد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أبي حُمَيْدٍ رضي اللهُ عنه قالَ: "أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ"[٢٤].

- ومنها: أن فيها وادي العقيق، روى البخاري في صحيحه مِن حَدِيثِ عُمَرَ بن الخَطَّابِ رضي اللهُ عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ: "أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ"[٢٥].

- ومنها: أن فيها العجوة (نوع من تمر المدينة) روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ سَعدٍ رضي اللهُ عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللِه صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ: "مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ"[٢٦].

- ومنها: أن المدينة تنفي خَبَثَهَا، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ جَابِر بن عَبدِ اللهِ رضي اللهُ عنهما: أَنَّ أعرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عَلَى الإِسلَامِ، فَأَصَابَ الأَعرَابِيَّ وَعَكٌ بِالمَدِينَةِ، فَأَتَى الأَعرَابِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللهِ أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي فَأَبَى، فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طِيِّبُهَا[٢٧]"[٢٨].

- ومنها: أن من أراد أهلها بسوء أهلكه الله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ سَعدِ بن أبي وَقَّاصٍ رضي اللهُ عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: "مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ"[٢٩].

- وفي رواية لمسلم: "وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ"[٣٠].

قال القاضي عياض:

- **"قوله: "مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةَ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ"، هذه الزيادة ترفع إشكال الأحاديث التي لم تذكر فيها وأن هذا حكمه في الآخرة، ويحتمل أن يكون المراد من أرادها في حياة النبي صلى اللهُ عليه وسلم بسوءٍ اضْمَحَلَّ أمره كما يَضْمَحِلُّ الرصاص في النار، فيكون في اللفظ تقديم وتأخير، ويؤيده قوله في الحديث: "كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ"، ويحتمل أن يكون المراد: لمن أرادها في الدنيا فلا يمهله الله ولا يمكن سلطانه، ويذهبه عن قرب، كما انقضى من شأن من حاربها أيام بني أمية مثل مسلم بن عقبة، وهلاكه في منصرفه عنها، ثم هلاك يزيد بن معاوية على إثر ذلك، وغيرهم ممن صنع مثل صنيعهم.**

- **ويحتمل أن يكون المراد: من كادها اغتيالًا وطلبًا لغرتها في غفلة، فلا يتم له أمر بخلاف من أتى ذلك جهارًا، كما استباحها مسلم بن عقبة وغيره"[٣١]. روى الإمام أحمد في مسنده مِن حَدِيثِ السَّائِبِ بن خَلَّادٍ رضي اللهُ عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: "مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا[٣٢]"[٣٣].**

وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ،

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أجمَعِينَ.

قائمة المراجع والمصادر

[١] "فضل المدينة وآداب الزيارة"، د. سليمان الغصن (ص٩).

[٢] المأزم: المضيق في الجبال حيث يلتقي بعضها ببعض ويتسع ما وراءه، "النهاية لابن الأثير" (٢٨٨/٤). وقد يطلق على الجبل نفسه ذكره ابن حجر في "فتح الباري" (٨٣/٤).

[٣] "صحيح مسلم" (برقم ١٣٧٤).

[٤] "صحيح مسلم" (برقم ١٣٧٠).

[٥] "صحيح مسلم" (برقم ١٣٧٢).

[٦] لابتيها: قال الأصمعي: اللابة الأرض ذات الحجارة السود، قال القاضي عياض: قال ابن حبيب: اللبتان الحرتان الشرقية والغربية. "إكمال المعلم بفوائد مسلم" (٤٥٠/٤).

[٧] "صحيح مسلم" (برقم ٢٩٤٢).

[٨] "صحيح البخاري" (برقم ١٨٧٢).

[٩] "فتح الباري" (٨٩/٤).

[١٠] أي: ينضم إلى المدينة ويجتمع بعضه إلى بعض فيها.

[١١] "صحيح البخاري" (برقم ١٨٧٦)، و"صحيح مسلم" (برقم ١٤٧).

[١٢] "صحيح مسلم" (برقم ١٣٧٤).

[١٣] "صحيح مسلم" (برقم ١٣٨١).

[١٤] "فتح الباري" (٩٣/٤).

[١٥] "صحيح البخاري" (برقم ١٨٧١)، و"صحيح مسلم" (برقم ١٣٨٢).

[١٦] "النهاية في غريب الحديث" لابن الأثير (٤٣٤/١)، و"شرح السنة للبغوي" (٣٢٠/٧)، و"جامع الأصول" (٣٢٠/٩).

[١٧] "صحيح مسلم" (برقم ١٣٧٤).

[١٨] "صحيح البخاري" (برقم ١٨٨٠)، و"صحيح مسلم" (رقم ١٣٧٩).

[١٩] "صحيح البخاري" (برقم ١١٨٩)، و"صحيح مسلم" (برقم ١٣٩٧).

[٢٠] "صحيح البخاري" (برقم ١١٩٠)، و"صحيح مسلم" (برقم ١٣٩٤).

[٢١] "مسند الإمام أحمد" (٣٥٨/٢٥) (برقم ١٥٩٨١)، وقال محققوه: صحيح بشواهده.

[٢٢] "صحيح البخاري" (برقم ١١٩٦)، و"صحيح مسلم" (برقم ١٣٩١).

[٢٣] "شرح صحيح مسلم" (١٦١/٣)، و"فتح الباري" (١٠٠/٤).

[٢٤] "صحيح البخاري" (برقم ٤٤٢٢)، و"صحيح مسلم" (برقم ١٣٩١).

[٢٥] "صحيح البخاري" (برقم ١٥٣٤).

[٢٦] "صحيح البخاري" (برقم ٥٤٤٥)، و"صحيح مسلم" (برقم ٢٠٤٧).

[٢٧] ومعنى "وَيَنْصَعُ طِيِّبُهَا": أي تخلصه، والمعنى: أنها إذا نفت الخبث تميز الطيب واستقر فيها. "الفتح" (٩٧/٤)، و"النهاية لابن الأثير" (٦٥٥/٥).

[٢٨] "صحيح البخاري" (برقم ٧٢١)، و"صحيح مسلم" (برقم ١٣٨٣).

[٢٩] "صحيح البخاري" (برقم ١٨٧٧)، و"صحيح مسلم" (برقم ١٣٨٧) واللفظ له.

[٣٠] "صحيح مسلم" (برقم ١٣٦٣).

[٣١] "إكمال المعلم بفوائد مسلم" للقاضي عياض (٤٥٣/٤).

[٣٢] "مسند الإمام أحمد" (٩٢/٢٧) (برقم ١٦٥٥٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

[٣٣] انظر: "فضل المدينة وآداب سكانها وزيارتها" د. عبد المحسن البدر، "الأحاديث الواردة في فضل المدينة" د. صالح الرفاعي، "فضل المدينة وآداب الزيارة" د. سليمان الغصن.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا